



20 مايو 2010

التنوير بين مصر واليابان (دراسة مقارنة في فكر رفاعة الطهطاوي وفوكوزاوا يوكيتشي)
المؤلف: د/ رءوف عباس

بقلم: جمال المنصوري

تقديم:

لقد قدم هذا المؤلف إسهامه الفكري في ضوء خمسة فصول وهي كالتالي:

الفصل الأول: فوكوزاوا والطهطاوي: صورة قلمية مقارنة

الفصل الثاني: النظام السياسي الجديد

الفصل الثالث: نحو نظام إجتماعي جديد

الفصل الرابع: التعليم والمعرفة الحديثة

الفصل الخامس: على طريق الحضارة

عرض موجز لعناصر الكتاب

الفكرة الأساسية للكتاب: قيام المفكرين الياباني والمصري بنقل تجربة النهضة والتحديث في الغرب إلى السياق الإجتماعي المقيمين فيه (مصر واليابان).

التحليل الموجز

كان كل من فوكوزاوا يوكيتشي ورفاعة الطهطاوي رائداً في التنوير في بلاده، وقد ترك كل منهما أثراً بالغاً على تطور الفكر الحديث في بلاده وأثر تأثيراً كبيراً في جيل المثقفين المعاصرين له. وقد حاول كل منهما أن يصوغ أفكاراً جديدة في مجالات السياسة والإقتصاد والنظام الإجتماعي والتعليم والمعرفة، وأن يطرح مفاهيم جديدة للحضارة وسبل ترقيتها متبعاً في ذلك أساليب راديكالية أحياناً وتوفيقية أحياناً أخرى. ولما كان الرجلان قد تأثرا بالفكر الليبرالي الغربي الذي كان متاحاً في أواخر القرن الثامن عشر، وأوائل القرن التاسع عشر فقد إتفتت مصادرها بقدر ما إتفتت الأطر المرجعية التي ركنا إليها. ورغم إعجابهما الصريح بالفكر الغربي والحضارة الغربية، لم يميلوا إلى إقتباس تلك الحضارة وتبني ذلك الفكر دون تحفظ. فقد فضلاً إتباع أسلوب إنتقائي عند الإقتباس من الحضارة الغربية لا يتعارض مع الثقافة الوطنية لمجتمع كل منهما وظروفه الموضوعية. ومن هنا كان تأكيدهما ضرورة أن يتخذ التطور الحضاري طابعاً أصيلاً يقوم على السمات الجوهرية للمجتمع، وعارضاً تماماً مبدأ التبني العشوائي للحضارة الغربية وإقتباس مظاهرها الخارجية. ويعكس ذلك إدراكهما العميق للتاريخ وفهمهما الشامل للحضارة بقدر ما يعكس نضج الوعي الوطني عندهما وتأثير المكون التراثي في ثقافتهما.

والأهم من ذلك، لما كان الرجلان قد تأثرا بنفس المصادر والأطر المرجعية للفكر المغربي من خلال البعثات التي يلتحقوا بها في الغرب، كانت رؤؤهما متشابهة في كثير من الحالات حول موضوعات المساواة وحقوق الشعب والعلاقات الأسرية والتعليم والحضارة، رغم إختلاف الظروف التاريخية والثقافية للمجتمعين الياباني والمصري إختلافاً كبيراً. غير أن فوكوزاوا كان أكثر راديكالية وجرأة في نقده للمكون الأخلاقي في الثقافة التقليدية اليابانية فيما اتصل بمسائل معينة كوضع المرأة والعلاقات الأسرية والمعرفة التقليدية. وقد عالج الطهطاوي في هذا الكتاب نفس الموضوعات بحرص

شديد وإتجاه شديد التسامح مع الموروث الثقافي شديد الميل إلى التوفيق بينه وبين الأفكار المكسبية (الجمع بين الموروث والمكتسب). لقد كان من السهولة بمكان بالنسبة لفوكوزاوا المفكر الياباني أن يحارب بصرامة الكنفوشية والتعاليم الصينية التقليدية وأن ينتقد أفكار الحكماء ويسفه من تعاليمهم، وهو أمر لم يكن بإستطاعة الطهطاوي أن يفعله، لأن القيم الخلقية التقليدية في الثقافة العربية ذات إتصال بالدين، وللدين وضع خاص ليس له نظير عند اليابانيين، ولذلك تمتع الطهطاوي بميزة لم تتوفر لفوكوزاوا فقد إستفاد من الإطار الرحب الفضايف للثقافة الإسلامية فوظف الجوانب الإيجابية منها لدعم وتمير الأفكار التي طرحها لأول مرة في محاولة لإقناع الناس بها وتبديد مخاوفهم منها وذلك في سيفا نقد القصور في تفسير القيم الثقافية المتوارثة وإيجاد نوع من الرابطة بينها وبين الأفكار الجديدة التي يدعو إليها.

أضف إلى ذلك أن فوكوزاوا كان يتمتع بوعي وطني نتج عن ذلك المزج الفريد بين الشنتوية والفكرة القومية الحديثة، وبذلك وردت مصطلحات "الأمة اليابانية" و"العنصر الياباني" و"الثقافة اليابانية" كثيرا في كتاباته كأمر مسلم بها. ولما كان اليابانيون يشعرون بذواتهم ويشتركون معا في الإحساس بهوية متميزة تضرب جذورها في أعمال الثقافة اليابانية المستمدة من العقيدة الشنتوية، فإن فوكوزاوا لم يكن في حاجة إلى مناقشة تلك المسلمات، بينما كان على رفاة الطهطاوي أن يستفيض في الحديث عن الهوية الوطنية لبلاده في محاولة لبلورة تلك الهوية من بين شعور فضايف بالإنتماء إلى الأمة الإسلامية، وبذلك وضع الطهطاوي أصول الفكرة القومية التي تطورت فيما بعد على يد الجيل التالي من المثقفين المصريين.

ومن الجدير بالذكر، أن وعي فوكوزاوا بعدوانية الغرب وخطورته على بلاده جعله يركز على فكرة الإستقلال الوطني الذي رأى أن السبيل لتحقيقه لا يتم إلا من خلال الإستقلال الفردي والإعتماد على الذات والسعي لبلوغ درجة الرقي الحضاري التي بلغها الغرب. ولكن الطهطاوي لم يدرك تماما خطر العدوان الغربي (الإستعمار البريطاني) رغم إصراره على ضرورة الأخذ بالمعارف الغربية كسبيل للرفي الحضاري والحفاظ على الإستقلال، إلا أنه إتخذ موقفا متسامحا إزاء تغلغل المصالح الغربية في مصر بل رأى فيها عاملا مساعدا على تقدم البلاد ولم يدر بخلده أبدا أن ذلك التغلغل كان مقدمة لعدوان الغرب.

وفي النهاية أود القول أن كل من المفكرين قد قام بنقل أفكار قد عايشوها في الغرب سواء كانت سياسية أو إجتماعية أو دينية أو أخرى إلى اليابان ومصر، لكي يطبقوها، ولكن النقطة المهمة هنا كيف طبقت كل من مصر واليابان تجربة التحديث أو التنوير؟ أو ما هي أوجه التشابه والإختلاف بين كل من البلدين؟ وما هي معايير النجاح والفشل؟ وكل هذه هي التساؤلات التي كان المؤلف د. رؤوف عباس يحاول أن يعلق عليها خلال هذه الفصول.

<http://www.ndp.org.eg/youth/Topics/ViewTopicDetails.aspx?TopicID=4146>